

الصحافة المواطنية أو السلطة الخامسة



عبره حقي

الصحافة امواطنة مثل (المدونات واملنتديات والشبكات الإجتماعية وملفات الفيديوواليوتوب ..الخ ك(سلطة خامسة) بعد السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة الصحافية قد زعزعت إن لم نقل قلبت المشهد الإعلامي عموما رأسا على عقب .. فاليوم وبواسطة الإنترنت يمكن أن ننتج وصلات فيديو إخبارية أو دعائية أو يمكن عبر الشبكات الإجتماعية حشد جماهير من أجل التجمهر الإقتراضي أو استجواب الناخبين أو الرد على قرارات المسؤولين أو استقصاء الرأي العام في قضية من القضايا الوطنية... لقد انتشرت ظاهرة التدوين Blogger في كل مكان من العالم، في مناطق التوتركما في المناطق التي تنعم بالسلام، وانتشر المدونون في مختلف حقول الإبداع الإنساني، في الآداب، التشكيل، السينما، الموسيقى .. الخ وبقدرا ساعد الإنترنت على الإنتشار والذيع والتوزيع خصوصا في مجال السينما فإنه في جانبه السلبي قد أفرز متاعب جمّة وخطيرة على مستوى حركية النشر والتوزيع، إذ تراجعت العديد من مؤسسات التوزيع عن إنخراطها في حركية الإنتاج السينمائي بسبب أن الكثير من الأفلام يتم بثها على فيديو غوغل باطجان وبالتالي فهي تصبح رهن مشاهدة رواد الأنترنت فقط بنقرات معدودة لكي تصبح جاهزة للتحميل.

هناك بعض الأفلام التي يتم تحميلها بأسعار زهيدة لا تزيد عن 3.99 دولار، مما يعني أن هذه الوسيلة الشبكية تعتبر ثورة على وسائل الإتصال التقليدية، وهكذا صرنا نلاحظ الآن أن أي فيلم

من الأفلام الجديدة لا بد أن يخضع لسيرورة النشر والتوزيع التي تنطلق بداية من القاعات السينمائية ثم التسويق على أقراص DVD وقد تصل مدة هذه السلسلة إلى أكثر من ستة أشهر وبعد مرور عام على إنتاجه قد يعرض على قناة تلفزيونية كآخر حلقة في هذه السلسلة.

وقد شبه بعض أخصائيي المعلوماتية ما يحدث اليوم على الشبكة العنكبوتية بالزلزال الثقافي بحيث صار بالإمكان وباستعمال (ميني كاميرا) وكومبيوتران نتواصل مع العشرات الآلاف من الأشخاص عبر كل أنحاء العالم . فبالأمس القريب عشنا مع الصحافة (السمعية - البصرية والصحافة المكتوبة) باعتبارها سلطة رابعة، تلك السلطة التي كانت تنحسر أحيانا حتى في الإشكالات التي لاشان لها بها، وكثيرا ما حاصرت وأخرجت هذه السلطة الرابعة السلطات الثلاث الأخرى .. أما اليوم فقد إنتقل الدور إلى الصحافة المواطنة ودخل على الأون لاين مخاطبون ومراسلون غير متخصصين وغير متخصصين في المهنة الصحافية والإعلامية المعروفة...

ولقد زعزعت هذه الصحافة المواطنة كما قلنا كل مؤسسات الدولة على المستوى الأفقي والعمودي، فلم يعد مثلا مسيرو ومديرو الإدارات والمؤسسات هم الصوت الأوحى لمؤسساتهم، كما لم يعد مرشحوا الإنتخابات سواء كانت رئاسية أو برلمانية أو بلدية الأبطال المستحويين على الرأي العام بخطبهم وبرامجهم، فقد بات من المفروض والواجب عليهم جميعا تذوق كعكة الديمقراطية في طعمها (الشبك - عنكبوتي) الرامن والحديث..

أما بعض الفيديوهات المملوكة والصور المركبة ذات الأهداف الشخصية أو الجماعية، فقد باتت تجوب الكرة الأرضية بنقرة واحدة عبر اليوتوب أو الدالي ميشن .. وبات الخطر يهدد كل وسائل الإتصال التقليدية (راديو- تلفزة - سينما - جرائد - مجلات) بحيث لم تعد وحدها تحتكر المعلومة أو التحقيق أو التعاليق أو الريبورتاج في زمن يعرف إنشاء مدونة كل خمس ثواني ... فمع مطلع شمس كل يوم يتم إحصاء زهاء 150000 مدون جديد (أي ناشر جديد قد يروج لأفكار تحريض أو رفض واحتجاج ضد هذه الجهة أو تلك أو أفكار تاييد ودعم ومساندة)...

أما في الميدان الفني فقد أصبح كل مواطن منتجا على نفس الدرجة التي كان بها الفنان بالأمس منتجا وحيدا.

إن الصحافة المواطنية قد مكنت جميع المواطنين منذ بدايتها أواسط سنة 2000 من التعبير عن أنفسهم وبكل حرية، أما اليوم وبعد زهاء عشر سنوات، فقد تطور الأمر إلى كونها أصبحت ذات قوة إقتراحية بل إنها تطورت إلى أن أصبح اليوم جزءاً منها هو بالتحديد ما يسمى الصحافة الإلكترونية . والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح اليوم هو من سيربح هذه المعركة الإعلامية والتواصلية بكل ثقلاتها الواعدة بالآمال تارة والشكوك والالتباسات تارة أخرى ... وهل دخل العالم فعلاً في عصر السلطة الخامسة؟

إذن يمكن أن نقول أنه بعد عصر الأسلحة وعصر مخادع الإنتخابات فقد دخل العالم اليوم عصر الصحافة المواطنية، فكل مجتمع بات بإمكانه الضغط على ممثليه في المؤسسات الديمقراطية بواسطة أسناد الإنترنت المختلفة (منتديات، مدونات، صفحات الشبكات الإجتماعية .. إلخ التي هز زلزالها كل قواعد اللعبة السياسية البائدة في العالم العربي وفي مختلف أرجاء المعمور. فلا يمكن أن ننسى دورها في تاجيح وتعبئة الشارع العربي ليثور على أصنام الديكتاتوريات مثلما أسهمت قبل الربيع العربي في الحملات الإنتخابية في أمريكا وفرنسا وكوريا الجنوبية، هذا البلد الآسيوي الرائد عالمياً على مستوى تعداد الرواد الشبكيين فقد أقر كل الملاحظين السياسيين هناك بالدور الأساسي الذي لعبه الموقع الإلكتروني (هومي نيوز) في فوز المحامي (روه موران) حيث كان يزوره في اليوم ما يناهز عشرين مليون مواطن كويتي.

ويمكن إذن أن نقول أن العديد من الأنظمة السياسية في العالم العربي قد عبرت من مواقع الظل والنسيان إلى مواقع الشمس المعلوماتية، وبعد أن فطن العديد من الفاعلين السياسيين في البلاد العربية إلى هذا المنبر الإعلامي الحديث وغير المسبوق - الصحافة الإلكترونية - شرع الكثير منهم يبحثون ويستقربون أصوات التأييد من مواطنهم أينما كانوا في الجهات الأربع من العالم عبر الشبكة العنكبوتية وصحافتها السيارية.

أما في بعض الدول الأوروبية فقد شرعت بعض الهيئات السياسية والحزبية على الخصوص تستثمر هذه الوسيلة التواصلية - الصحافة المواطنية - عن طريق تقنية (الطرق الافتراضية) على الأبواب الإلكترونية للمواطنين لتمطرهم بعشرات الآلاف من الرسائل الإلكترونية والمايلات المرفقة

بملفات سمعية بصرية تتضمن إعلانات وخطب وبرامجهم السياسية... وأخيرا هل يمكن القول
أن الميديا الذاتية (الصحافة المواطنية) قد عوضت الميديا العمومية (ma-m'dia) ؟